

## واقع الجزائر فيما بين 1927 و 1930 The realities of Algeria between 1927-1930

نايت قاسي إلياس، lies.naitkaci@gmail.com

حسين عبد الستار، hocine.abdstr@yahoo.fr

المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة-الجزائر

تاريخ النشر 2020/07/31

تاريخ القبول: 2020/06/20

تاريخ الإرسال: 2020/04/23

### الملخص:

شهدت الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الثقافية في الجزائر ما بين سنتي 1927 و 1930 تحولات مهمة، من خلال الحراك السياسي الذي عرفته الجزائر وإلى تأزم الوضع الاقتصادي بسبب السياسة الاقتصادية الفرنسية وإلى الكساد العالمي الذي ضرب العالم سنة 1929، ضف إلى ذلك حالة التوتر الاجتماعي المتزايد في الأوساط الجزائرية والذي نهبت له التقارير الفرنسية نفسها، وشهدت الحياة الثقافية حيوية من حيث نشاطها نتيجة ظهور عدد من النوادي الثقافية وجهود علماء الإصلاح.

ولعل هذه الفترة تشكل في عين الباحث في الموضوع إحدى الفترات الأكثر دلالة على طبيعة السياسة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر فقد كانت على موعد بالذكرى المئوية للاحتلال، وشكلت الذكرى محطة مهمة للجانب الفرنسي لإبراز مدى نجاح رسالته الاستعمارية وإبراز مدى التلاحم بين المستوطن الأوربي والأهلي الجزائري وفي نفس الوقت شكلت الذكرى أيضا مناسبة لإبراز موقف الحركة الوطنية من واقع الجزائر السياسي منه خاصة.

**الكلمات المفتاحية:** الحركة الوطنية الجزائرية؛ الذكرى المئوية للاحتلال؛ الجبهة الشعبية؛ موريس فيوليت.

### **Abstract:**

Between 1927 and 1930, the political, economic, social and even cultural situations in Algeria had known significant transformations, from the political movement that Algeria had known, to the deterioration of the economic situation due to the French economic policy and to the global depression that hit the world in 1929. In addition, the increasing social tensions within the Algerian community that French reports itself have long highlighted. The cultural life had known vitality in terms of its activity as a result of the emergence of a number of cultural clubs, and the efforts of reformist scholars, etc..

This period may constitute in the eyes of the researcher on the topic one of the most indicative periods of the nature of French colonial policy in Algeria, as it was on the date of the centenary of the occupation. The centenary was an important occasion for the French side to highlight the success of its colonial message, and the extent of the cohesion between the European settler and the Algerian indigenou. At the same time, the centenary was also an occasion to highlight the position of the national movement on Algeria's political reality in particular.

**Keywords:**The Algerian National Movement; the centenary of the occupation; the popular Front; Maurice Violette.

## 1. مقدمة:

كانت فرنسا سنة 1930 على موعد مع ذكرى مرور قرن من احتلالها الجزائر، أو ما اعتبرته العديد من الكتابات الاستعمارية بالعيد المئوي للاحتلال وبداية تكوين إمبراطوريتها الاستعمارية وسخرت لذلك الاحتفال بإمكانيات بشرية ومادية ضخمة، وجعلت من هذه المناسبة فرصة لتقدم للعالم أجمع نموذجاً تطبيقياً حياً يبين فعالية الآليات الاستعمارية الفرنسية ونجاحاتها في ترويض من تسميم البرابرة والقراصنة وإبراز عبقرية المستعمر الفرنسي، والذي تمكن من إخراج المنطقة من عهد الظلمات إلى عهد الأنوار ومن الفوضى والمجاعة والموت إلى عالم الأمن والاستقرار والرفاهية.

كما شكلت الذكرى مناسبة لإبراز " التلاحم " بين الأوربي المستوطن، والأهلي الجزائري الذي هو في أعماقه "مستوطن" أيضاً.

وفي الوقت الذي ظنت فيه فرنسا أنها فرنست الجزائر نهائياً، بدأ شيء جديد يولد من غير أن تراه العيون، هو بداية تبلور اتجاهات الحركة الوطنية، التي ستخوض غمار المواجهة السياسية خدمة للقضية الوطنية.

والحقيقة أننا عندما نبحث ونتأمل في التاريخ الجزائري خلال الحقبة الاستعمارية ونرى التحولات التي حدثت في حياة الأمة الجزائرية عامة وخلال فترة الاحتفالات بالذكرى المئوية خاصة، نتأكد أن وراء تلك التحولات شعبا يتمرد على الواقع عندما يشعر بزيغ ما يفرض عليه من قيم وثقافة استعمارية، ويحس أن شخصيته وكيانه في خطر، وهو ما دفعه إلى الثورة في 1954 وقبل ذلك إلى العمل بمختلف الوسائل للدفاع عن المبادئ التي يؤمن بها، ومن هنا يتأتى لنا الإشكال التالي: ما طبيعة التحولات العامة التي عرفتها الجزائر عشية الاحتفالات المئوية عن الاحتلال الفرنسي؟

سأحاول من خلال هذا المقال رسم الخطوط العريضة للواقع الجزائري في السنوات القليلة التي سبقت احتفالات الذكرى المئوية للاحتلال الجزائري.

ولعل هذه الفترة تشكل في عين الباحث في الموضوع إحدى الفترات الأكثر دلالة على طبيعة السياسة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر وبداية تفهم الجزائريين لقواعد اللعبة قبل أن يصبحوا طرفاً فيها، وسنلاحظ بدون عناء كبير أن الصورة المرسومة في الصفحات التالية تشبه تلك التي عرفتها الجزائر خلال مرحلة الاحتلال ككل.

وإذا ما بحث فيما تميز به الواقع الجزائري قبيل الذكرى واحتفالاتها خاصة في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين سنة 1927 و1930 وجد فيما يخص:

## 2. الواقع السياسي:

رغم التحول الهائل الذي شهده العالم بعد الحرب العالمية الأولى فإن الإدارة الفرنسية ظلت محافظة على نفس نسق سياستها الاستعمارية، دون محاولة منها إحداث إصلاحات أو إدخال تغييرات على الواقع الجزائري بشكل جدي يساير التحول العالمي خدمة قبل كل شيء لاستمرار مصالحها بالجزائر.

بالرغم من تواضع إصلاحات 1919<sup>1</sup> فإن الفرنسيين لم يتهاونوا في خرقها، وتعرضت الحركة الوطنية إلى مختلف أشكال التنكيل والتضييق، فكانت هذه السمة الغالبة أو مميزة لطبيعة العلاقة بين الجزائريين والفرنسيين، ففي عهد الوالي العام ستيغ (Théodore Steeg)<sup>2</sup> تم تجديد وتوسيع قانون الأهالي، ووقعت الجزائر في مجاعة 1921 م. وتم في عهد موريس فيوليت (Maurice Viollette) الاشتراكي (12 مارس 1925 إلى 1 ديسمبر 1927) إحياء نظام الاحتجاز السري، وغالبا ما كانت فرنسا تربط كل نشاط سياسي في الجزائر بالتأثيرات الخارجية واليد الأجنبية. واتهمت في ذلك الدعاية الشيوعية من موسكو والدعاية الألمانية من برلين، وحركة الجامعة الإسلامية من تركيا، واعتبرتها دعوات معادية ومهددة للأمن والاستقرار بالجزائر.

ورغم الديناميكية التي عرفتها الجزائر سياسيا خلال فترة العشرينيات عموما وفترة ما قبل الاحتفالات بالتحديد (1927-1930م)، فإنها ظلت تعتبر "مستعمرة هادئة سياسيا"<sup>3</sup>، ربما كان ذلك بسبب نشوة الانتصار الذي حققته على ثورة الريف بالمغرب<sup>4</sup> ونفي الأمير خالد من الجزائر سنة 1923م.

والملاحظ أن صفة السلبية ظلت تطبع السياسة الاستعمارية في الجزائر رغم الانتقادات التي وجهها كتاب أحرار<sup>5</sup> من الأوروبيين إلى هذا النظام الاستعماري، من انتقادهم للنظام الضرائبي، وقانون الأهالي وقضايا التعليم وغيرها، غير أنهم كانوا يهدفون إلى ترميم النظام لا إلغائه، فكان لا بد وأن يقترحوا نظاما بديلا يعطي بعض الحقوق للأهالي ولا ينزع شيء يذكر من المعمرين.

وقد طالعنا بعض الكتابات والشهادات التاريخية على نوايا بعض السياسيين في الجزائر لإحداث إصلاح للوضع العام خاصة ما تعلق منه بالجانب السياسي كإعادة النظر في التمثيل الأهلي في المجالس المحلية والمندوبيات المالية وصولا إلى مسودة مشروع قانون تمثيل الأهالي في مجلس النواب والشيوخ الفرنسي. ومن أمثلة هؤلاء موريس فيوليت (Maurice Viollette)، لكن إرادة وضغط جماعة الكولون كانت أكبر. فقد لعبت هذه دورا بارزا في توجيه الحياة العامة في الجزائر وتحريك المشهد السياسي الجزائري بما يسير ويلائم تطورها الاجتماعي والاقتصادي الداخلي. ولم تبق جالية المستوطنين طويلا في حدود ما وضعت له كجالية متعددة الجنسيات، متفرقة الأصول والجذور، بل راحت تبحث لنفسها عن بوتقة اجتماعية تجمعها، فتحوّلت بسرعة إلى مجتمع متكامل لم يلبث أن طالب بالاستقلال المالي للجزائر.<sup>6</sup>

وقد خول قانون 1900<sup>7</sup> للمعمرين هذا الامتياز، وجعل منهم طبقة وجماعة نافذة ومسيطرة. وبعد سنوات من التطور الاقتصادي الموازي لتطور بنيتها الاجتماعية والفكرية عملت على إيجاد نظام إداري يساعدها على مزاولتها نشاطها الاقتصادي، نظام مغاير للنظام الاستعماري ككل، فبالموازاة مع حرصهم على إقصاء العنصر الجزائري من الحياة العمومية، تبلورت تدريجيا رغبة هذه الجالية في الاستقلال والتخلص من مراقبة الحكومة المركزية: "...و لم يظهر المستوطنون تعصبهم للقومية الفرنسية إلا عندما شعروا بتزايد قوة العنصر الوطني"<sup>8</sup>، فترك الجزائريون تحت رحمة المعمرين، سيما وأن هؤلاء كانوا يؤثرون على كبار المسؤولين عن طريق نوابهم في البرلمان<sup>9</sup>. ولست هنا مدافعا عن الإدارة المركزية الفرنسية وتبرير مواقفها اتجاه الجزائريين، بل للتأكيد على علاقة الكولون بالنظام المركزي بفرنسا، على أساس علاقة تعاون وتآزر.

لقد رأت فرنسا أن بقاءها في الجزائر مرتبط ببقاء جماعة الكولون وتوسيع امتيازاتها، وعن مسؤولية كل طرف في السياسة الاستعمارية يقول فرحات عباس: «قد يكون من الغلط أن تطرح المسؤولية على السوء من الفرنسيين وإعفاء الباقي - يقصد جماعة الكولون - فالمسؤولية هنا جماعية، لأنها نتيجة نظام، ثمرة نظرية مغلوبة»<sup>10</sup>، وثمة دلائل تاريخية حول موقف الكولون الرافض والمتصدي لكل محاولات الإصلاح والتغيير، وعلى سبيل المثال ما كان من مشروع موريس فيوليت (Maurice Viollette) سنة 1926م والذي اقترح تقديم منحة اجتماعية لصالح النساء الجزائريات الحوامل قدرت بخمسة عشر فرنكا شهريا بالنسبة لسكان المدن وعشرة فرنكات شهريا للتجمعات السكانية الأخرى (مثل القرى)، وكان هذا الاقتراح مشابها لقانون معمول به في فرنسا. وقد هبت عاصفة من الانتقادات الكولونية لهذا المشروع ولم يروا داعيا لاقتراحه، بل طالبوا بإلغائه لأنه سيكون حافزا ودافعا للإنجاب أكثر.

وأظهر بوردراس معارضة شديدة باسم كل المندوبين الماليين الأوروبيين وناشد الحكومة الفرنسية بالتدخل وقال: «إن هذا المشروع وضع بنظرة فرنسية من فرنسا وليس برؤية فرنسية من الجزائر»<sup>11</sup>.

ويقول فرحات عباس في كتابه "ليل الاستعمار" تحت عنوان "تجربة جيلي" نقلا عن شارل أندريه جوليان (Charles-André Julien) قوله في مواقف الكولون: «إن الكولون (المعمر) في الجزائر لا يتوفر على أية عقلية سياسية، إنه يحتج ضد أي تغيير كلما أحس بما يظهر له أنه مساس بامتيازاته. إن مستعد ليمتن بكل حدة عما قدمه من مساعدات في

وقت الشدة التي كان هو السبب فيها والمسؤول عن حدوثها، أما حيال السكان الأهالي فهو بكل إصرار وعناد يعارض أي إصلاح لحالتهم»<sup>12</sup>.

وحتى بالنسبة لهؤلاء الذين يدافعون عن فترة ولاية فيوليت (Viollette) وما أظهر من ليونة ورحابة صدر للمطالب الجزائرية ومشاريعه الإصلاحية، فقد صرح فيوليت (Viollette) نفسه: « أن سنة 1930م ستكون فاتحة لعهد جديد لسياسة أقل استعمارا وأكثر إنسانية وأكثر واقعية»<sup>13</sup>، إلا أنه ما فتئ أن وقع أسير محيطه، وكان كبار الموظفين المنحازين للكولون قد أثروا على أفكاره والمشاريع التي جاء بها وأدرك سريعا أن "الجزائر ليست فرنسا" على حسب كتابات بعض الكولون.

فإذا كان مجرد منح الجزائريين منحة بخمسة عشرة (15) فرنك قد أثار زوبعة من الانتقادات والسخط، فيمكن أن نتصور حجمها عند المطالبة بحق التمثيل الأهلي في البرلمان الفرنسي، وغريبة هي سياسة الإدارة الفرنسية في تعاملها مع الجزائريين، فهي حينما يتقدم لها الجزائري بحقه ويقول أنا عربي يقال له: لا... أنك فرنسي، وحينما يتقدم معترفا بأنه فرنسي ويطلب حقوق الفرنسي، يقال له: «لا... أنك عربي»<sup>14</sup>.

ومن الأمثلة على ازدواجية الخطاب والتعامل الفرنسي مع الجزائريين ما كان في سنوات التحضير للاحتفالات المئوية للاحتلال، ففي الوقت الذي بدأت فيه الأصوات تنادي بضرورة إنجاح الاحتفالات المئوية، وإبراز مظاهر التلاحم بين الفرنسي والجزائري، قامت فرنسا بإصدار مجموعة من القوانين:

الأول: مؤرخ في 10 أوت 1927 ويتضمن تسهيلات إدارية للحصول على الجنسية الفرنسية وحتى ممن كانوا قد حاربوا ضد فرنسا من ألمان ونمساويين وهنغارين، وتقرأ في المادة خمسة عشر من نفس القانون استثناء خاص: "ان هذا القانون يطبق في كل الأراضي الإمبراطورية الفرنسية، وفيما يتعلق بالأهالي الجزائريين فإنه سيستمر العمل وفق قانوني سيناتوس كونسولت 14 جويلية 1865 وقانون 04 فيفري 1919..."

الثاني: صادر بتاريخ 04 أفريل 1928 والخاص بالهجرة الجزائرية نجد فيه انه يشترط من الجزائري أكثر مما يشترط ممن هو خارج الإمبراطورية الفرنسية ومن ذلك توفير الوثائق التالية:

- بطاقة الهوية مع صورة فتوغرافية
- شهادة السوابق العدلية
- شهادة طبية على أنه غير مصاب بمرض معد وأنه حقن بلقاح ضد الأمراض المعدية خلال مدة لم تتجاوز خمس سنوات.

- وصل يسلم من القابض البلدي لإثبات دفع مستحقات المرور للطبقة الرابعة وقيمه 150 فرنك<sup>15</sup>.

في مثل هذه الظروف الداخلية وما كان يحيط بها من ظروف إقليمية ودولية، ستشهد الحركة الوطنية دفعا جديدا، ونقله نوعية في مسار تطورها التاريخي، وجاء ذلك بشكل أساسي نتيجة عودة بعض الشباب والعمال الجزائريين، الذين خرجوا طلبا للعلم والعمل في المشرق العربي أو في فرنسا.

ونظرا لاختلاف الظروف عما هي عليه في الجزائر تمكنوا من الاستفادة وكسب الخبرة في مجالات العمل النقابي والحزبي، وفي مجال إنشاء الصحف وإدارة المطابع، وكان من الضروري أن تبدأ عملية استثمار هذه الموارد البشرية في الواقع الجزائري.

شهدت لذلك فترة 1927-1930م بداية ظهور الملامح العامة للاتجاهات السياسية للحركة الجزائرية، وشهدت الفترة أيضا الميلاد الرسمي لحزب نجم شمال إفريقيا. الذي سيكون له دور كبير مستقبلا تحت تسمية النجم أو حزب الشعب الجزائري أو حركة انتصار الحريات الديمقراطية، إلى جانبه فدرالية النواب المسلمين الجزائريين، أما العلماء فقد بدأت بوادر السعي لتحقيق فكرة العمل الجماعي في حقل النهضة والإصلاح.

## 1.2- نجم الشمال الإفريقي:

اختلفت الآراء والمصادر في تحديد سنة ظهور النجم على الساحة السياسية، ويعود ذلك إلى السرية التي طبعت أعضائه منذ اجتماعاتهم الأولى لمناقشة فكرة إنشاء الحزب والخوف من المتابعات البوليسية. لكن الأكيد أن هذه الاجتماعات بدأت منذ سنة 1924م برعاية الأمير خالد، وقد احتضن الشيوعيون الفرنسيون جماعة النجم منذ الوهلة الأولى، فقد حاول الحزب الشيوعي الفرنسي تأطير عمال شمال إفريقيا<sup>16</sup> تحت مظلة محاربة الامبريالية الفرنسية، وتولى رئاسة النجم أحمد مصالي الحاج بداية شهر أوت 1926م بعدما وقع سالفه في قبضة الشرطة الفرنسية في منطقة " حمام بوحجر"، بينما كانت الرئاسة الشرفية للأمير خالد<sup>17</sup>، وعن المطالب التي سعى النجم لتحقيقها، فقد تضمنها خطاب أحمد مصالي الحاج في مؤتمر "بروكسل" (فيفري 1927)<sup>18</sup>، والذي دعت إليه "الجمعية المناهضة للاضطهاد الاستعماري" وذكر منها:

- الاستقلال الكامل للجزائر.
- جلاء الجيش الفرنسي من الجزائر.
- إنشاء جيش وطني.
- إنشاء برلمان وطني جزائري.<sup>19</sup>

ويعد هذا الخطاب وما تضمنه ثورة تعدت في اندفاعها مطالب الحزب الشيوعي ومواقفه الغربية عن "الوطنية الجزائرية" منذ 1920 أي قبل ظهور التشكيلات الوطنية الجزائرية.

فقد ذكر المؤلف جاك جيركي (Jacque Jurquet) نصيحة طويريز (Maurice Thorez) للجزائريين تحت عنوان «... نصيحة إلى رفاقي العرب، إياكم والوطنية الانفصالية»<sup>20</sup>.

وبالتالي فإن خطاب مصالي الحاج أكد أن النجم يتبنى أيديولوجية متطرفة لانطلاقها من مفهوم الاستقلال وقد كانت المطالبة به وقتها ضربا من التطرف، ونشدانا للمستحيل، وشكلت بذلك نظرة الحزب للاستعمار ومواقفه منه، نهاية توافق الشيوعيين الفرنسيين مع الاستقلاليين الجزائريين، ورغم أن النجم اتخذ مسارا وطنيا صرفا بعيدا عن كل التأثيرات والضغوط<sup>21</sup>، فإن ظل محدود القاعدة النضالية والتي تركزت على العمال الجزائريين المهاجرين والطلبة ولم يتعدى نشاطه في أحسن الأحوال أراضي فرنسا<sup>22</sup>، ولم تحن سنة 1929م حتى تعرض الحزب إلى الحل<sup>23</sup>.

## 2.2- فدرالية النواب المسلمين الجزائريين:

أنشئت في 18 جوان 1927 برئاسة كل من ابن التهامي، ومحمد الصالح بن جللول، وفرحات عباس، وكانت جريدة التقدم لسانها الرسمي، وظلت مدافعة عن توجهات النواب الجزائريين في المجالس المحلية الفرنسية حتى فيفري 1931، وكانت كل مطالبها إصلاحية بالدرجة الأولى<sup>24</sup> وتعبّر عن آمال وأمانى التيار الإدماجي، وثقتها المطلقة في العدالة الفرنسية، حتى أن بعضهم إنمهر للتفوق الحضاري الفرنسي، ومنها:

- المساواة في المعاملة والمكافئات بين ممثلي الأهالي وممثلي الإدارة الفرنسية.
- المساواة في الخدمة العسكرية.
- إلغاء قانون الأنديجان.

مع بداية سنة 1929 بدأت تطرح مطالب أكثر واقعية بالنسبة لها مثل مطلب تمثيل الأهالي في البرلمان الفرنسي. والملاحظ أن كل الإصلاحات المطالب بها لم تخرج عن إطار احترام القانون الفرنسي والسيادة الفرنسية.

## 2.2- العلماء المسلمون:

ظل عمل العلماء الإصلاحي يتسم بالفردية، وقد عقد ابن باديس العزم على تجسيد فكرة إنشاء جمعية باسم "الإخاء العلي" وفي هذا الإطار تدخل الزيارة التي قام بها للبشير الإبراهيمي في مدينة سطيف سنة 1924<sup>25</sup>، وكان ابن

باديس يرى إن الحركة الإصلاحية تقوم على الفكرة والتخطيط، التنظيم والانضباط. فهو القائل: «إنما ينهض المسلمون بمقتضيات إيمانهم بالله ورسوله، إذا كانت لهم قوة، وإذا كانت لهم جماعة منظمة تفكر وتدبر وتتشاور وتتأزر وتنهض لجلب المصلحة ولدفع المضرة، متساندة في العمل عن فكر وعزيمة»<sup>26</sup>.

لكن هذا المشروع لم يتجسد وعرقلته أحداث وقعت لأن «الاستعداد لمثل هذه الأعمال لم ينضج بعد، وأن عملا عظيما كهذا لا يثبت على الفكرة الطائفة والخطوة العريضة، ولا يتم في الخارج إلا بعد استقراره في الأذهان، ولا بد له من زمن واسع حتى يختمر وتأنس إليه نفوس ألفت التفرق، حتى نكرت الاجتماع»<sup>27</sup>.

وظلت فكرة إنشاء جمعية دينية الشغل الشاغل لبعض العلماء طيلة فترة 1925-1930م، وعملت الصحافة الإصلاحية الوطنية كجريدة المنتقد والشهاب في نشر المفاهيم، وتوسيع دائرة الحوار بين العلماء الذين كانت تجمعهم نفس الفكرة ولا يلتقون لا في نظام ولا في جمعية...<sup>28</sup>، فهل كانت مهازل 1930م كما سمتها الصحافة الإصلاحية، نقطة انطلاق حقيقية لتجسيد المشروع، كما قال العربي التبسي: «أزفت ساعة الجماعة وتصرم عصر الفرد»<sup>29</sup>.

تراوحت مطالب العلماء بين المطالبة بفصل الدين عن الدولة الفرنسية على غرار الديانات الأخرى في الجزائر، وتعميم اللغة العربية وفتح المجال لحرية التعليم العربي، وإقامة المدارس الحرة. كما أظهر العلماء في نفس الفترة نضجا سياسيا عاليا من خلال اهتمامهم الواسع بما كان يدور من أحداث داخلية وخارجية، ويظهر ذلك جليا في المقالات الصحفية التي كانت تكتب وتندشر وحتى ولو كانت فردية في غالبيتها، لكنها كانت هادفة، من ذلك مواقفهم من تطورات القضية الفلسطينية، وما خلفته ثورة الريف من آثار على الواقع المغربي، ولا أدل على هذا ما كان من اتصالات مستمرة بين بعض العلماء وشكيب أرسلان<sup>30</sup>، لإبقاء عنصر التواصل للجزائر مع جيرانها والدول العربية الإسلامية.

لكن ورغم هذا المجهود الجبار وهذا النضج العالي المستوى، فإن جهود العلماء الفردية جعلتهم يعيدون عن أداء رسالتهم، وتطلب في الوقت ذاته حدوث دفعة لديهم، للعودة إلى مهام العالم الرئيسية، في القيادة والذود عن الأمة.

هكذا يتبين لدينا في هذه العجالة التاريخية للوضع السياسي الذي عاشته الجزائر في فترة (1927-1930م) تاريخ الاحتفالات بالذكرى المئوية، يتضح لدينا جليا أن السياسة الاستعمارية الفرنسية لم ترق إلى مستوى الوعي السياسي الذي أصبحت تتمتع به النخب الوطنية وضربت عرض الحائط كل الأمانى والتضحيات الجسام للجزائريين فداء لوعود فرنسا أثناء الحرب العالمية الأولى، فمشاريع الإصلاح الفرنسية وحتى وإن لم تتعدى الحبر على الورق، فإنها كانت متأخرة عن مطالب وأمانى الجزائريين سنين عديدة. ويتضح جليا أن النشاط السياسي في الجزائر ظلّ بلون باهت، سائر بشكل بطيء لكنه عميق، فالنجم محدود القاعدة، ممرکز بفرنسا، والعلماء متشتتين رغم أن الفكرة نضجت للعمل الجماعي، وجماعة النخبة ظلّت تؤمن بعدالة فرنسا، وسعت لإثبات موضوعية مطالبها أمام ضربات النجم والعلماء.

### 3- الواقع الاقتصادي:

استخدمت فرنسا خلال الحقبة الاستعمارية أساليب مختلفة للاستغلال ونهب الأراضي وتدمير البنية التحتية للاقتصاد الجزائري. وحتى وإن كان المجال لا يتسع لتناول جملة هذه الأساليب، فإنني سأحاول إبراز الحالة الاقتصادية للجزائر بما يتيسر لي من أرقام وتقارير عن فترة ما قبل الاحتفالات.

لم يكن الواقع الاقتصادي للجزائر بأحسن حال عن واقعها السياسي، فقد كان اقتصاد الجزائر مرتبطا باقتصاد فرنسا، بل مكمل له ولا أدل على ذلك من حالة التفجير التي أصابته جراء الأزمة الاقتصادية العالمية سنة 1929<sup>31</sup>.

لقد بلغت ملكية الكولون " الملكية الأوربية " للأراضي الصالحة للزراعة ما يقارب 2350000 هكتار سنة 1930 توزعت على 25337 وحدة زراعية منها 5411 تزيد على 100 هكتار.

وفي سنة 1940م انخفض عدد هذه الوحدات إلى 6345 وحدة تزيد عن 100 هكتار، وفي نفس الوقت الذي شهدت فيه نسبة عدد المستوطنين ارتفاعا من 833000 سنة 1926 إلى 881000 سنة 1931، والقضاء على الملكية الصغيرة ودمجها في مساحات المضارباتين الكبير<sup>32</sup>.

تم إن الملكية الكبيرة ارتفعت بنسبة 18 % وبمساحة 30 % بالنظر إلى الملكية الأوروبية الصغيرة. وعلى حساب الجزائريين أصبح 2 % من المزارعين الأوروبيين يسيطرون على 25 % من الأراضي الصالحة للزراعة، وتم تحويل جزء هام من الأراضي الخصبة إلى زراعة الكروم بقصد إنتاج الخمور حيث وصلت إلى 400 ألف هكتار هذا في حين لم تتغير مساحة الأراضي المزروعة بالحبوب إذ ظلت ثابتة على حالها منذ عام 1894 م، وبالتالي جعل المعمرون من الجزائريين مصدر السلع التجارية<sup>33</sup>. وحتى القروض الفلاحية لم تعرف طريقها للفلاحين الجزائريين وظلت حكرًا على الأوروبيين، حيث بلغت 400 مليون فرنك. وبالنسبة للسلع والمساعدات الموجهة للأهالي الجزائريين لافتكاكهم من شبح المجاعة، فقد تعرضت لفضائح التوزيع بعدما حولت لغير وجهتها. وتعرضها لمساومات عديدة بين أطراف الإدارة المحلية من كولون وفرنسيين وقياد<sup>34</sup>...

كما شهدت الفترة نفسها تراجعًا كبيرًا لفرص العمل، بل ازدادت البطالة بشكل رهيب بسبب حالة الركود الاقتصادي العام، إضافة إلى تطور التقنية الفلاحية الحديثة، إذ أن الآلة الواحدة عوضت على سبيل المثال 100 عامل فلاح، وهذا ما يفسر سيل الهجرة من الأرياف إلى المدن بحثًا عن العمل، ثم إن أجرة اليوم انخفضت من 10 فرنكات إلى 3 فرنكات في اليوم الواحد<sup>35</sup>.

وما كان حال العمال الجزائريين بالمهجر خاصة بفرنسا بأحسن من ذوبهم بالجزائر، فحتى ولو كانت مساعداتهم كبيرة لعائلاتهم قبل الأزمة الاقتصادية فإنه بحلولها اضطروا إلى مغادرة فرنسا والرجوع إلى الجزائر. وقد جاء بهذا الصدد في تقرير كتبه "جان ميليا" (JEAN MILIA) عن الجزائر ما يلي:

«إننا إذا دققنا البحث لا بد لنا أن نكشف الستار عن تلك الثروة الطائلة التي جمعها ثلة قليلة من الناس، بينما البؤس الهائل مخيم، والفقر الضارب أطنابه في سائر الأوساط الإسلامية العامة، وأصبح الأهالي عبارة عن طبقة هائلة من العملة المأجورين»<sup>36</sup>.

إن هذا التقرير من كتاب فرنسي يعتبر وبدون شك شهادة صادقة على أوضاع الشعب الجزائري في ظل السيادة الفرنسية، وشهد شاهد من أهلها.

وقد عرف الميزان التجاري عجزًا منذ سنة 1926، وهو ما يمثله الجدول رقم (1)<sup>37</sup>

الجدول رقم (1) : يوضح تطور الميزان التجاري الجزائري ما بين 1926-1928م

قيمة العجز	الواردات	الصادرات	
- 104.055.000	4.119.041.000	4.014.986.000	1926
- 882.526.000	4.404.544.000	3.522.018.000	1927
- 972.464.000	4.986.146.000	3.995.682.000	1928

أرقام هذا الجدول تظهر تراجع صادرات الجزائر مما يدل على حالة الركود والعجز الاقتصادي وعدم التوازن مداخيل ومصارييف الخزينة، فأن لها أن تجد التوازن في ظل تكاليف احتفالات العيد المئوي، وقد شهد الميزان التجاري الفلاحي بدوره تراجعًا كبيرًا ليس بسبب تراكم كمية الإنتاج أو بسبب حالة الجفاف لسنة 1929 فحسب ولكن بسبب تراجع الأسعار أيضًا، فقد انخفض سعر الحبوب من 161.77 فرنك للقنطار سنة 1928 إلى 147.88 فرنكا سنة 1929. ليستمر تدهور الأسعار إلى غاية شهر ماي 1930 أين وصلت 131.50 فرنكا للقنطار، وذكرت مادة الحبوب دون

غيرها لأنها تمثل المادة الأساسية للجزائريين ومنتوجهم الأول، أما الكروم فقد كانت حكرا على الأوربيين المعمرين فبعد حالة الزيادة التي شهدتها المساحة من 1921 ( 168742 هـ) إلى ( 238742 هـ) سنة 1930 وقد وقعت في أزمة خانقة نظرا لتدهور أسعارها وقد قامت فرنسا بدعمها للأسعار ورفع قيمة الرسوم الجمركية أمام الخمور المستوردة من دول أوروبا، هذا ما جعل المعمرين يشعرون بالارتياح بعدما هددوا بمقاطعة الاحتفالات إن بقيت الأزمة دون حل ومعالجة. وأود أن أذكر هنا إحصائيات للدلالة فقط، فالأرقام تبين أن الجزائريين ساهموا سنة 1912/1330 بنسبة 46 % ضمن موارد الإدارة المركزية والمحلية، في حين أنهم كانوا لا يملكون سوى 37 % من إنتاجية البلاد. أما جماعة الكولون فقد تضررت بنسبة ضئيلة من الأزمة ورغم ذلك ظلت تلح وتضغط لطلب المساعدة من الإدارة المركزية للتنفيس عن ضائقتها المالية.

#### 4- الواقع الاجتماعي:

تدل الأرقام الناتجة عن إحصاء 1926-1931 عن تنامي نسبة السكان الجزائريين بشكل ملفت للانتباه مقارنة مع نسبة السكان الأوربيين.

الجدول رقم (2) يبين تطور نسبة عدد السكان في الجزائر خلال ثلاث محطات تاريخية<sup>38</sup>.

السنة	1926	1931	1936
سكان جزائريون	5190776	5588314	1144
سكان فرنسيون	833359	881584	6013

تبين هذه الأرقام حقيقة التطور السكاني، واختلفت الآراء حول تفسير هذه الأرقام ودلالاتها السيلوجية ففي حين اعتبرها بعض الفرنسيين دليل على الاهتمام الفرنسي بالأهالي الجزائريين والتطور الصحي والنظام الغذائي للأهالي<sup>39</sup>. وهي بذلك حجة لنجاح رسالتهم الاستعمارية المدنية، تخوف البعض الآخر من سوء تقدير اختلال الموازين الديمغرافية داخل الجزائر رغم سيطرة الكولون على مقاليد السلطة، وفي ذلك يرد " بيار بيران" ( Pierre Perrin ) على هذه المخاوف: «مهما كان لنظمين، الأكثرية ستخضع للنوعية بشرط أن تأخذ بزمام الأمور...هذا البلد سيبقى لفرنسا يعني لكبار المعمرين»<sup>40</sup>.

وحول تفسير أسباب الزيادة السكانية من جانب الجزائريين فإن ذلك يعود إلى عقلية الأهالي، فالإكتثار من الأولاد يعني سبلا ومصادر رزق جديدة فليس للأسرة تكاليف التعليم مثلا، ومرد ذلك أن أغلبية الأطفال عادة ما يشتغلون ويعملون لكسب قوتهم ومساعدة آبائهم. ولم يحدث اختلال التوازن الديمغرافي فحسب، بل إن الجزائريين أصبحوا أكثر حضورا في المدن التي تعرف تواجدا كولونيا قويا.

الجدول رقم (3): يبين بالأرقام نسبة السكان الجزائريين بالنسبة لعدد السكان الأوربيين<sup>41</sup> في بعض المدن الكبرى والتي كانت في

وقت من الأوقات حكرا على الأوربيين فقط.

المدينة	نسبة السكان الجزائريين بالنسبة للأوربيين 1931	نسبة السكان الجزائريين بالنسبة للأوربيين 1936
الجزائر	45 %	42 %
وهران	26 %	31 %
سيدي بلعباس	54 %	61 %
عنابة	76 %	87 %

تعود أسباب الهجرة الجزائرية نحو المدن الكبرى إلى مضاعفات الأزمة الاقتصادية سنة 1929م، وضيق سبل العيش في الأرياف بسبب السيطرة الاستعمارية الواسعة، ثم إن عودة المهاجرين الجزائريين، والذين ضاقت بهم أحوال العمل بفرنسا خاصة، سيستقرون بالمدن والتجمعات السكانية الكبرى. ومن بين أسباب انتشار هذه الظاهرة - تجمع السكان في المدن والتجمعات السكانية الكبرى - إصدار فرنسا لقانون تحديد هجرة الجزائريين إليها سنة 1924م، هذا الأخير - أي القانون - قد خلق رد فعل عاطفي كبير، بين النواب المنتخبين، فاعتبروا أن القانون يحمل صبغة عنصرية، لأنه كان ضد هجرة الجزائريين فقط، وأنه جاء ضد قانون 14 جويلية 1914 الذي أنهى مثل هذا القيد، وقد يكون لهذا القانون « عواقب وخيمة وأن يمكن أن يحطم السمعة الفرنسية في الجزائر»<sup>42</sup>.

وقد نبّه أحد الكولون في إحدى جلسات المجلس الأعلى للجزائر بهذه القضية، واعتبرها شيء خطير يهدد مستقبل الأرياف الجزائرية بسبب نقص اليد العاملة. وإن كانت هجرات الجزائريين ما بعد الحرب العالمية الأولى للبحث عن العمل، فإن هجرات سنوات 1929 إلى 1931 كانت هروبا من المجاعة التي أخذت مكانا لها داخل المجتمع الجزائري، وانتاب الواقع الاجتماعي قلقا مطردا وتوترا بدأت ملامحه تظهر في الأفق.

#### 5- الواقع الثقافي:

شهدت الجزائر نهضة ثقافية واسعة بداية من القرن الماضي وازدادت حيوية ونشاطا مع فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى وإن كان طابع نشاطها الثقافي يغلب عليه التقليد، أي تقليد الفرنسيين في نشاطاتهم<sup>43</sup>، فقد أنشأ هؤلاء مكاتب و متاحف و جمعيات علمية و مسارح و سينما و إذاعة، و فرق موسيقية، إلا أن الجزائريين واجهتهم صعوبات سياسية و لغوية و تعليمية و فنية، فالقوانين الفرنسية كانت لا تسمح بحرية التعبير ولا الحركة، وحتى من يوجه له هذا الإنتاج و النشاط الثقافي قد أضرت به الأمية، و شهدت الساحة الجزائرية ميلاد نوادي ثقافية عديدة و بروز جمعيات محلية لأنشطة ثقافية مختلفة كالموسيقى و المسرح، و لعل أبرزها نادي الترقى، هذا النادي الذي شهد ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931،<sup>44</sup> وكان منذ تأسيسه سنة 1927م بطحاء للعلم و الالتقاء، وكان له دورا هاما في تهذيب الشباب و توجيهه توجيها عربيا إسلاميا، وقد نظم النادي بين سنتي 1927 و 1929 ثلاثين محاضرة بالعربية، و 10 بالفرنسية<sup>45</sup>، كما اهتم النادي بتشجيع الحياة الفنية الموجهة لأداء رسالة اجتماعية من ذلك حفلات نشاطها الممثل الفكاهي رشيد القسنطيني سنة 1929م<sup>46</sup>.

كما قامت جمعية الشبيبة الإسلامية بإحياء احتفالات سنوية بتمثيل الروايات و إنشاد الشعر و الاستماع إلى القطع الموسيقية الشعبية، وكانت هذه جزءا من وسائل جلب الجمهور و توجيهه. كما شهد المسرح تطورا ملحوظا من حيث عدد المسرحيات المعروضة، و من حيث مضامينها و أهدافها التربوية.<sup>47</sup> وفي هذا يؤكد "ديبارمي" (DESPARMET)<sup>48</sup> بأن المسرح الجزائري حتى ولو اتخذ طابع التقليد للمسرح الفرنسي، فإن المنتورون نظروا إليه كوسيلة صالحة و ناجحة لنشر أفكارهم الوطنية<sup>49</sup>.

وقد وجه "أحمد توفيق المدني" دعوة إلى جمع الشمل و إنشاء المسرح العربي الذي ستكون له رسالة خاصة هي الارتقاء بالأخلاق و الآداب و الذوق الاجتماعي و تعليم العربية. ودعا أيضا إلى إيجاد عربية و سيطرة في البداية بين العامة و الفصحى، ولكن رغم هذا فإن الإقبال الجماهيري على المسارح بقي محدودا و قد يعود ذلك إلى المستوى المعيشي السيء للجزائريين<sup>50</sup>.

أما الميدان السينمائي، فظل حكرا على الجانب الفرنسي نظرا لأنه يتطلب أموالا ضخمة و وسائل تجهيزية لم يكن بمقدور الجزائريين منافستها. وقد طبع الإنتاج السينمائي الصبغة الاستعمارية، وكانت مظاهرها سياحية بالدرجة الأولى،

ووجود الجزائري فيها جزء من الديكور الاستعماري وجلب السخرية من الأهالي. مثلاً: "المسلم المضحك"، "علي يأكل الخبز بالزيت"، "علي بولحية"<sup>51</sup>.

وكان لهذه الأعمال تأثير قوي على الناحية السيكولوجية لبعض الجزائريين في محاولة لإدخال الفشل في عقولهم، وتجريدتهم من السلاح المعنوي للحيلولة دون أية مقاومة ومعارضة. ومن نتائج هذه الأعمال السينمائية شعور بعض المتشردين سياسياً أن الصورة التي رسمها لهم المستعمرون هي صورتهم الحقيقية وربما كان منها أيضاً محاولة البعض العيش كالفرنسيين ويتصلون من شخصيتهم حتى تزول عنهم هذه الصورة المشوهة<sup>52</sup>.

كما شهدت الساحة الثقافية إنشاء مطابع جزائرية أهمها "المطبعة الجزائرية الإسلامية" في قسنطينة والتي أنشأها عبد الحميد ابن باديس، التي كانت تطبع فيها كل من جريدتي "المنتقد" و"الشهاب"، ومطبعة النجاح التي تأسست في قسنطينة وكانت الأحسن من حيث التجهيز، ثم المطبعة العربية التي أنشأها أبو اليقضان<sup>53</sup>، وكان لهذه المطابع الدور الأكبر في نشر الصحف والجرائد، وانتشار كتابة التقاويم الجزائرية.

ولعل الجانب الأكثر حظاً من نشاط الحركة الوطنية قطاع الصحافة، فقد نشطت الصحافة الوطنية والإصلاحية بتعدد عناوين الصحف والجرائد، وكانت الوسيلة الإعلامية الرئيسية في الإعلام الجزائري للوقوف أمام الحملات الإعلامية الفرنسية. فقد خففت الإدارة الفرنسية من قبضتها على الصحافة دون أن تدع لها مجالاً للمساومة مع الصحافة الفرنسية، إذ خضعت الصحافة الوطنية في الفترة ما بين (1927-1930) إلى نظام معين يتراوح بين الشدة والقسوة وبين نوع من الحرية والمراقبة<sup>54</sup>.

كما شهدت فترة ولاية فيوليت (Viollette) للجزائر ليونة ومهادنة سمحت بانتشار واسع للصحف الوطنية، ولم تتقبل الصحافة الفرنسية ومن تمثّل رحابة صدر فيوليت (Viollette) وتسامحه» الذي هدّد أمن الكولون ومصالحهم، واستخدموا كل وسائل الضغط الممكنة لإبعاده، ووضع حد لنشاط الصحف الجزائرية...»<sup>55</sup>.

ومن ذلك ما تعرضت له جريدة "وادي ميزاب" (1926-1929) من تعطيل، اهترت له الأوساط الشعبية وكان سيل البرقيات المنددة بهذا العمل قد هزّ الدوائر المسؤولة بالجزائر، مما اضطر الوالي العام "بير بورد" (Pierre Bordes) يسافر إلى غرداية لتهدئة الخواطر<sup>56</sup>، ومن بين ما جاء في هذا الأمر ما ذكرته «جريدة الصحافة الحرة»: «وإن الإجراء الذي اتخذته السيد "بورد" ضد جريدة وادي ميزاب هو حقاً ضربة عنيفة، وأن الظروف المحيطة بهذا التعطيل تسمح لنا بأن نسيء الظنون بنوايا الموظفين»<sup>57</sup>.

ولعل أحسن وصف لواقع الصحافة ما قبل ذكرى الاحتفالات ما كتبه ابن باديس في "الشهاب" بقوله: «لا شك أن الذين يريدون أن يظهر الجزائري في السنة القادمة -1930- في المظهر اللائق وبسمعة فرنسا التمدنية بأسفون لفقر الجزائر يوم ذاك من الصحافة الحرة، التي هي عنوان حياة الأمم ورقمها في هذا العصر»<sup>58</sup>، وللإشارة فإن الصحافة الفرنسية لم تكن أحسن حالاً من مثيلتها بالعربية.

كما شهدت سنة 1927 ظهور كتابات وطنية خاصة التاريخية منها، على سبيل المثال: "تقويم الأخلاق" الذي أصدره محمد بن العابد الجيلالي في فاتح 1927م (1345هـجري) وقد طبعه في المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة، ويقع في 179 صفحة، جعل شعاره مقولة أبي بكر «أدن من الموت توهب لك الحياة» وحثّ فيه الشباب على الإقدام والنشاط وعدم الخوف من المستعمرين، والمعروف أن الشيخ محمد العابد كان من رواد الفكر الوطني ودعاة النهوض والحرية ومحاولة المساهمة، كما قال: «لعله يعني بحق من حقوق الوطن»<sup>59</sup>.

وفي سنة 1928 صدر العدد العاشر (10) من حولية ودادية طلبية شمال إفريقيا المسلمين الجزائريين، عبّروا خلاله عن تذمرهم وموقفهم المعادي لفرنسا، هذا ما دفع المحلل الاستعماري ف. بروديل (Fernand Braudel) إلى تنبيه زملائه

الأستاذة الفرنسيين إلى ضرورة الإطلاع على ما يكتبه طلبتهم المسلمون في الحوليات لأنه وجد فيه تفكيراً غير منسجم مع ما يأخذه التلاميذ منهم وما تتوقعه فرنسا من أبناء البلاد عشية مرور قرن من الاحتلال<sup>60</sup>.

وقد صادفت فترة ما قبل الاحتفالات بالذكرى المئوية لسلسلة من الأعمال الثقافية والأدبية ترجمة بصدق نظرة الجزائريين إلى المستقبل وآمالهم فيه، ولعل أبرز تلك الكتابات روايتين لـ "حسن خوخة شكري" صدرت الأولى سنة 1928 بعنوان "مأمون"، والثانية سنة 1930 وسمّاها "العلج أسير ببروس"<sup>61</sup> صدور الرواية في هذا الوقت يعد نقطة تحول، فقد استعمل المؤلف التاريخ لتسليطه على الحاضر، ووقع البطل المسيحي أسيراً في قبضة القراصنة، وكان عليه أن يخرج من الرق باعتناق الإسلام وأن يتزوج ابنة سيده لتتم عملية الاندماج، غير أن هذه العملية لو تتم رغم أن ابنه قد أصبح مفتياً، فهل أراد حسن شكري أن يقول للفرنسيين إن الجزائري مهما اعتنق من مبادئهم وتأثر بثقافتهم وتزوج من نساءهم فإنه لا يمكن أن يندمج فيهم؟ إن بعض النقاد يرون ذلك ويرون من الرواية إعلاناً بفشل سياسة الإدماج<sup>62</sup>.

لقد حاولت فرنسا إيجاد طبقة جزائرية فرنكفونية مثقفة لتقوم بدور الموطن للتقارب بين الجنسين الفرنسي والجزائري، وقد اعتبر موريس فيوليت (Maurice Viollette) الطلبة الجزائريين الفرنكفونيين خير وسيلة للقيام بدور التأثير في محيطهم الأصلي<sup>63</sup>، كما أكدت هذا التوجه صحيفة "الوقت" في عدة مناسبات، وعلقت آمالاً عريضة في هذه النخبة المسماة في الوثائق الفرنسية باسم "أنتلجنسيا" المسلمة الفرنكفونية كبديل يعوض "خدّام فرنسا الأوفياء" المعروفين باسم "العمائم القديمة"<sup>64</sup>.

وأخشى ما كانت تخشاه فرنسا على هؤلاء الطلبة الاندماجين من التقارب من جماعات الإصلاح، لأنها كانت ترى في هذا التقارب - لو حصل - سيكون بمثابة «الهجوم الموحد بين محمد - صلى الله عليه وسلم - وديكارت على فرنسا»<sup>65</sup>.

وشاعت هذه الأفكار في الشعر نفسه، ففي العدد 29 من جريدة "المغرب" وردت قصيدة ذات روح وطنية ملتزمة للشاعر أبي الوفاء<sup>66</sup>، رمزي، تقول الجريدة أنها نقلتها عن مجلة "الإخاء" وأعدت نشرها، وكان الهدف من ذلك استئثار الهمم:

لا تناموا ففي البلاد ذناب\*\*\* من بني الغرب مظلّموا الوجدان  
حسبوا أنهم من الشرق أسمى\*\*\* لاختلاف اللغات والألوان  
أن تعيشوا فلا تكونوا عبدا\*\*\* شرف الموت للأبي الحر  
كل من رامكم بفتك وشّر\*\*\* قابلوا بغيه بفتك وشّر.

## 6. خاتمة:

وخلاصة القول أن فترة ما قبل الاحتفالات المئوية لاحتلال الجزائر شهدت تحولات عميقة في مختلف المجالات. ففي المجال السياسي أصبح هناك تفكير جاد في النشاط الحزبي، والاعتماد على النفس، وانتشار الشعور بوجود شيء اسمه الأمة يتميز عن أولئك الذين كانوا "أسيادا" في الجزائر.

وفي المجال الاقتصادي أدرك الجزائريون أن الثروة الحقيقية بيد غيرهم، فنافسواهم في تجارتهم وزراعتهم وبضاعتهم، وشهد المجال الثقافي انتشار الحسّ الفني، والإبداع في مختلف المجالات الثقافية، المسرح والرواية والموسيقى، وانتشرت النوادي، والصحف الإصلاحية والوطنية بشكل أصبح ينافس الإعلام الكولونيالي وحملاته النفسية على المجتمع الجزائري.

لقد كان هناك أمل لدى بعض الجزائريين أن تكون هذه الاحتفالات المنوية مناسبة لتحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للشعب الجزائري الذي كان يعيش تحت وطأة القوانين الجائرة والأزمات الاقتصادية المتتالية، والمجاعات المتوالية، لكنها في الحقيقة لم تكن إلا فتحة للجرح القديم الذي اغتصبت فيه الجزائر غداة 1830، إلا أنها ومن جهة أخرى نتج عنها شعور وإحساس لدى النخب باختلاف توجهاتها بضرورة المطالب الجادة في إعادة الاعتبار للإنسان الجزائري والمطالبة بتحسين وضعه الاجتماعي والثقافي والسياسي ليتحول فيما بعد إلى مطالب إلى تيارات سياسية واضحة.

### الهوامش:

<sup>1</sup>- قدمتها فرنسا في 4 فبراير 1919م، وتعرف بإصلاحات كليمونصو نسبة لواضعها، جاءت كترضية للأهالي جزاء مشاركتهم في الحرب، تضمنت منح الجنسية الفرنسية لحوالي 400 ألف جزائري ممن تتوفر فيهم مجموعة من الشروط أهمها ضرورة إتقان اللغة الفرنسية، مع ضرورة التخلي عن الأحوال الإسلامية. أنظر:

Charles Robert Agéron, Une politique Algérienne libérale sous III Républiques (1912 – 1919), Etude historique de la loi du 4 Février 1919, R.H.M.C, Paris, T.6, Avril – juin 1959, P 126 – 151.

<sup>2</sup>- ولد في 19 ديسمبر 1868 في لبيورن ساهم بكتابات في العديد من الجرائد اليسارية وأدار مجلة L'action national اتقلد عدة مناصب إدارية بداية من انتخابه نائبا عن المحافظة الإدارية الرابعة عشر بباريس في 14 جويلية 1904، وفي سنة 1906 عين مقرر ميزانية البريد، وفي السنة الموالية مقرا لميزانية التعليم العام، ثم وزيرا لنفس القطاع من ماي 1911 إلى جانفي 1912، ثم وزيرا للداخلية من 13 جانفي 1912 إلى 18 جانفي 1913 في حكومة بوانكاري، وفي 29 مارس 1914 انتخب نائبا في منطقة السين، ليتم تعيينه في سنة 1917 وزيرا للتعليم العام ثم وزير للداخلية في حكومة ريبو. وفي جويلية 1921 عين واليا عاما على الجزائر. سنة 1925 خلفه مورييس فيولت.

<sup>3</sup>- أبو القاسم، سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ط3، ج 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983، ص 299.

<sup>4</sup>- نسبة لمنطقة الريف بالمغرب قادها الأمير عبد الكريم الخطابي بداية من سنة 1923 أين حقق على الجيش الإسباني انتصارا حاسما في موقعة أنوال، وعلى إثرها تأسست جمهورية الريف، التي اختلف في تاريخ إنشائها بين 18 جانفي 1923 الموافق لـ 30 جمادى الأولى 1341 هـ و 1 فيفري 1923 الموافق لـ 14 - 15 جمادى الثانية 1341 هـ، وقد استمرت جمهورية الريف وثورتها بين جانفي / فيفري 1923 إلى نهاية ماي 1926.

<sup>5</sup>- من هؤلاء الكتاب، جون ميليا، في كتابه: Le Triste Sort des Indigènes Musulmans en Algérie "ومورييس فيوليت في كتابه: L'Algérie vivra t'elle

<sup>6</sup>- فرحات عباس، حرب الجزائر وثورتها - ليل الاستعمار-، تر: أبو بكر رحال، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، د.ت، ص 50.

<sup>7</sup>- صدر في 29 ديسمبر 1900م، أعطى الجزائر الحكم الذاتي في الشؤون المالية. وفيه يقول فرحات عباس: «ومن تصرف في المال تصرف في الجاه»، للتفصيل ينظر: فرحات عباس، المصدر السابق، ص 108.

<sup>8</sup>- نفسه، ص 108.

<sup>9</sup>- سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ج 2، ص 299.

<sup>10</sup>- فرحات عباس، المصدر السابق، ص 106.

<sup>11</sup>- Henry Alleg, la guerre d'Algérie, éd. messidor, Temps actuelles 1981, T1, p 113. Et aussi: Maurice Violette, l'Algérie vivra t'elle, Félix Alcan, Paris, 1931, p 36.

<sup>12</sup>- فرحات عباس، المصدر السابق، ص 106.

<sup>13</sup>- نفسه، 122. نقلا عن جريدة التقدم، شهر ماي 1927.

<sup>14</sup>- عبد الرحمان بن إبراهيم العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر 1920-1936، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص 327.

<sup>15</sup>- Le Centenaire de la conquête de l'Algérie et les Reformes Indigènes, Alger, la maison des livres, 1952, p 92.

<sup>16</sup>- Afrique Française - Renseignement coloniaux, année 1926, p 41.

- 17- Salah Mathlouthi, Le Messalime itinéraire politique et idiologie, 1926 – 1939, Paris VIII , Université de Paris, Vincennes, 1975, P 98.
- 18- انعقد بين 10 إلى 15 فيفري 1927، كتب عنه " جواهر لانهرو " موضوعا بعنوان " المضطهدون يلتقون في بروكسل في مذكراته " قصة حياتي " ومما كتبه: " عقد المؤتمر في مطلع فبراير 1927 وحضره ممثلون عن منظمات وطنية من جاوة والهند الصينية وسوريا ومصر، ومن أقطار إفريقيا الشمالية وممثلون عن زنوج إفريقيا...و على كل فقد ضمت عصبة لمكافحة الاستعمار، وعدد كبير من الشخصيات التي تبنت مبادئ العصبة مثل انشتاين، رومان رولان ولكن انشتاين استقال من العصبة بعد أشهر، نظرا لعدم موافقته على وقوف العصبة في سياستها حيال النزاع العربي اليهودي في فلسطين موقفا مؤيدا للعرب" جواهر لانهرو، قصة حياتي، ترجمة مروان الجابري، 203. انظر: La Compagne Communiste, R.A.F, juin 1927, p 226-235
- 19- محمد قنانش، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919-1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 44-45.
- 20- Jacque Jurquet, La Révolution Nationale Algérienne et le Parti Communiste Français, éd du centenaire, paris, T 2,p 69.
- 21- محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية، 1830-1954، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994، ص 98.
- 22- سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ج 2، ص 431.
- 23- محمد قنانش، المصدر السابق، ص 52.
- 24- Le Congrès de la Fédération des Elus Indigènes d'Algérie et de la Représentation des Indigènes Algériens au Parlement, R.A.F, Paris, N°11,nov1927, p463-465.
- 25- محمد البشير الإبراهيمي، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، قسنطينة، المطبعة الجزائرية الإسلامية، 1935، ص 46.
- 26- عبد الحميد ابن باديس، تفسير القرآن الكريم، جمع وترتيب: محمد الصالح رمضان وتوفيق شاهين، دار الكتاب الجزائري، الجزائر، 1964، ص 428.
- 27- البشير الإبراهيمي، المصدر السابق، ص 47.
- 28- نفسه، ص 43.
- 29- افتتاحية الشهاب، ع 31، 17 جوان 1926
- 30- زعيم عربي (1869-1946)، كانت تربطه علاقات برجال الحركة الوطنية بالمغرب العربي بداية من سنة 1914، وقد كان تاريخه حافلا في ميدان العلم والأدب والسياسة والنضال.
- 31- ظهرت مؤشرات باهتبار السوق المالية في بورصة نيويورك في 29 أكتوبر 1929، وسرعان ما انتشرت في أوروبا وهو الحادث الرئيسي الذي عرفته فترة ما بين الحرب العالمية الأولى والثانية وقد تميزت عن غيرها من الأزمات بالآثار العميقة التي خلفتها فكانت وراء تشكل حكومة الوحدة الوطنية في بريطانيا سنة 1931 ومن الأسباب التي ساعدت ادولف هتلر على الوصول إلى الحكم في ألمانيا سنة 1933 ونجاح الديمقراطيون في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1933، ووصول الجبهة الشعبية إلى الحكم في فرنسا سنة 1936.
- 32-Charle Robert Ageron, Histoire de l'Algérie contemporaine 1830-1973-que sais-je, P.U.F, p 77.
- 33- عبد الله شريط ومحمد الميللي، الجزائر في مرآة التاريخ، ط1، مكتبة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1965، ص 86-87.
- 34-Kaddache Mahfoud, Histoire du Nationalisme Algérien, 1919-1951, Alger, S.N.E.D, 1980, p 277
- 35- فرحات عباس، المصدر السابق، ص 115.
- 36- جريدة النجاح، ع 257، ديسمبر 1925م، ص 1.
- 37-Shaffino(L.), Le Commerce Extérieur de l'Algérie ,in.fr.o.m , Paris, oct1929,p56-57
- Payen (Edouard) , Le Commerce de l'Afrique Française du nord 1929,in ;Rens.Colon.Paris,n°10, oct.1930,p607-619.
- 38- Algérie Statistique " service central" , Statique Comparée des Recensement Quinquennaux de la Population Algérienne en 1936 et 1937,Alger,imp.V.Heintz,1937,p 29.
- 39- Gautier ( Emil-felix) , L'Evolution de l'Algérie de 1830 à 1930.Paris comité nationale du Centenaire,p56.
- 40- Henri Alleg,Op.cit,t1,p 101.
- 41- KADDACHE, Op. cit, P 272

<sup>42</sup>-Mir, Immigration des Travailleurs Algériens, in. Afr. Franç. suppl, Mars, 1925, p29

<sup>43</sup>-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، دار الغرب الإسلامي، 1998، ص 314.

<sup>44</sup>-"الجلسة التمهيدية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، مجلة الشهاب، ج5، م07، ماي 1931، ص341.

<sup>45</sup>-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج5، ص 316.

<sup>46</sup>-نفسه.

<sup>47</sup>-أحمد بن داود، "نشأة وتأسيس المسرح الجزائري"، مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، ع2، جانفي 2015، ص 277-278.

<sup>48</sup>- له عدة مقالات تحليلية للوضع الجزائري وتتبعه له في مجلة أفريقيا الفرنسية، عرف بالدفاع عن مصالح فرنسا الاستعمارية وعدائه للحركة الوطنية الجزائرية.

<sup>49</sup>-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ج5، ص 426.

<sup>50</sup>- توفيق المدني، كتاب الجزائر، ط2، دار الكتاب الجزائري، ص 342 – 343.

<sup>51</sup>-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ج5، ص 304.

<sup>52</sup>- زبير سيف الإسلام، صفحات من الصراع الجزائري الفرنسي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1988، ص 15.

<sup>53</sup>- محمد ناصر، أبو اليقضان وجهاد الكلمة، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.

<sup>54</sup>- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص 76.

<sup>55</sup>-Zahir Ihaddadene, L'Histoire de la Presse " Indigène " en Algérie des origines jusqu'en 1930, Enal, Alger, 1983, P 272.

<sup>56</sup>- محمد ناصر، المرجع السابق، ص 195.

<sup>57</sup>- نفسه، ص 195.

<sup>58</sup>-مجلة الشهاب، ج1، م5، فيفري 1929م، ص 33.

<sup>59</sup>- محمد بن العابد الجيلالي، تقويم الأخلاق، المطبعة الإسلامية الجزائرية، قسنطينة، 1927، ص 27.

<sup>60</sup>- Afrique Française, année 1930, p 428

<sup>61</sup>-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ج5، ص 416.

<sup>62</sup>-نفسه، ص 417.

<sup>63</sup>- حمادي عبد الله، الحركة الطلابية الجزائرية 1871-1962 مشارب ثقافية وإيديولوجية، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ص 47.

<sup>64</sup>- نفسه، ص 46.

<sup>65</sup>- Augustin Berque , Les Intellectuels Algériens, in. r.a , Alger, n°410-411,p123-151.

<sup>66</sup>-جريدة المغرب، ع29، 16 ديسمبر 1930م.